



بسم الله الحمد لله والصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أما بعد، فقد تناولت في الحلقة الماضية بعض أسباب انجرار وانحراف دعوة و علماء لمستنقع طغاة الإنس والجان مما أدرجهم تحت عنوان: "علماء السلطان"، وقد وصلنا في الحلقة السابقة إلى رابط المصالح الدنيوية القدرة التي يبيع بها أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل!

وفي هذا وأمثاله يتحدث خاتم الأنبياء والمرسلين محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في زماننا في معرض استشرافه لأيام الفتن في أمته حتى لكانه يعيش بينما اليوم حين تناول الروبيضة في قوله: "ويتكلم الروبيضة"! – بضم الراء وتشديدها، وفتح الواو، وتسكين الباء، وكسر الباء، وفتح الضاد – قالوا: وما الروبيضة يا رسول الله؟ قال: الرجل التافه يتكلّم في أمر العامة، تفاهته قد تكون بسبب جهله، وخبث طويته، وفساد أفعاله – وما أكثر هؤلاء في ظل تخريب المؤسسة الدينية الرسمية في سوريا الشام!!!!!!

هذا الروبيضة ليس بالضرورة أن يكون عالما من علماء الإسلام يتقن اللغة العربية وعلوم الأصول والفقه والتفسير والحديث، أو يتقن تلاوة القرآن الكريم إجازة عن أهل هذا الفن!!! إذ يكفي فيه عند علمانيي النظام عمامة وجبة تدخله في سلك العلماء في ظاهره لينال القبول عند العامة، لكن بالرغم من تراجعه في الثلقي بين العلماء فإن المناصب الدينية الرسمية تشرع أبوابها أمام ناظريه له وحده حتى وإن كان في القوم من هو أعلم وأسلم، بل حتى ولو لم يكن لذلك المنصب أهلا!!!

هذا الروبيضة ليس بالضرورة أن يكون ورعا تقىا بل على العكس تماما فالمطلوب أن لا ينال قسما من التقوى لكي يكون في كل وقت حاضرا لتقديم فتاوى جاهزة وتنازلات مشينة حتى وإن ضربت ثوابت العقيدة والشريعة في مقتل! وألقت الشعب والأمة في مهب الريح! كل ما هو مطلوب منه مزيج من الخبر والمكر والنفاق مع امتلاك موهبة الخطابة كي يخدع الجماهير، ويبيرر بين أيديها مراد أسيادها الذي تضيع به مصالحهم! هذا الروبيضة تقدم له مساحة إعلامية واسعة للتواصل مع الناس ليعرض الغث من أفكار رديئة، ويركب بها الأدلة الخادعة التي تتلاعب بالحقيقة لتصرف وجوه الناس عنها، وتزين الباطل وتجمله لجعله مقبولا في القاعدة الجماهيرية ليتحقق في هؤلاء الفاسدين من علماء المسلمين ومن سار على شاكلتهم من رجال الإعلام المضليلين قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المعجز: "ستكون سنوات خداعات، يؤتمن فيها الخائن، ويخون الأئمين، ويتكلم الروبيضة".

ذلك الفرصة الذهبية تقدم إلى تلك الحالة من أدعية العلم لإفساد ما لم عجز عن إفساده الإعلام! في حين يحرم الرجال الراسخون في العلم، الرافعون به رأساً، من كافة حقوق التواصل الرسمي مع شرائح المجتمع وعرض أفكارهم المفيدة و الغيورة في جو من الحرية والالتقاء الفكري، والبيان العلمي، لكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون، ويأبى الحق إلا أن يكون أبلجاً بالرغم من كيد الكائدين، وتلبيس المبطلين، وخداع علماء المسلمين!

أيضاً تفاهة الروبيضة قد تكون بسبب جهله بربه، وغفلته عن مقام العبودية بين يديه بالرغم من تخصصه في علوم شرعه، مما جعله في عداد العصاة الالاهين الذين يصدق فيهم نص الحديث الشريف الذي يرويه البخاري في صحيحه أنه قال: "يؤتى بالرجل يوم القيمة فتندلق أقتابه فيدور حولها كما يدور حمار الرّحى، فيجتمع عليه أهل النار، فيقولون: ألسْتَ فلانا الذي كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ فيقول: كنت أمركم بالمعروف ولا آتيء! وأنهاكم عن المنكر وآتيء" !!!

لذا لا عجب أن ينقاد من هذا شأنه تمام الانقياد لأسياد طغاة اتخذ منهم قدوة معرضًا عن القدوة التي اختارها الباري عز وجل لل المسلمين و ذلك في صريح كتابه الكريم: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة".

لقد سلم لهم قياد أمره، ورضي أن يتنازل عن كل حرية و رقي و خير جاء به الإسلام في سبيل عرض حقير من دنيا فانية ألقاها له أسياده على طريقة صاحب الكلب حين يلقى فتات الطعام ل الكلب، أو على أسلوب راعي البقر الأمريكي حين يقذف بحبله لثوره لحذبه إلى بهوان!

فهذا وأمثاله لا دواء لهم ، فقد ضرب عليهم الرق أحياً و ميتين! و الأخطر من ذلك أن يكون أحدهم قد جمع في صك عبوديته المشين هذا أسياداً متشاكسين يجذبه كل واحد بقوة إليه، فيمزقونه تمزيقاً إثراً و قوته تحت تأثير قوى شد متناقضة، بينما يخيل إليك و أنت تنظر إليه أن الدنيا قد سقطت إليه بحذافيرها قد سقطت إليه مع أنه في حقيقته ليس أكثر من عبد ذليل تتجاذبه قوى مدمرة تطلب منه ثمن ما وصل إليه من مال و جاه و شهرة و منصب و مجد، بين ماسونية عالمية انسلاخ بها عن أمته!

إلى، بعشية حزبية انحرط من خلالها في دولته!

إلى التزامات أمنية قدمها للاستخبارات بوقاية في مسيرته! إلى ولاء لنظام طاغية الشام الدموي والقصر الجمهوري كبله وقيده وسلب منه حريته وكرامته في ليله ونهاره ونهضته وقعدته!

إلى ارتباطات بالصهيونية العالمية في تل أبيب وواشنطن، ومراعي القرار الاستعمارية في عالم الدمى الذي يدغدغ بما يقدمه من عروض شهوات ومراعي الحس من نزواته!

إلى مصير ربط به مستقبله عندما ألزم نفسه باستحقاقات الحركة الصفوية العالمية في طهران حتى عقّ بها أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقال بها معرضاً: "اق الله يا عائشة" !!!

يُخاطبها هكذا بكل صفقة وبصوت عالٍ ودون أن يترضى عنها!!!

ولا أدرى من الأولى بالدعوة إلى تقوى الله عز وجل؛ هل السيدة عائشة التي قال الله تعالى فيها وفي سائر الزوجات: "وأزواجه أمهاتهم"، أو هذا المعتوه المأجور العاق الذي سلك طريق المنحرفين المفسدين من المغضوب عليهم والضالين مبتعداً عن سبيل المؤمنين؟!!!

و ضمن ذات الاستحقاق المخلج رمى هذا الصنف المنتسب إلى العلم وأهله الصفوة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، من مؤازريه و ناصري دعوته.

ومن الآلهة التي استعبدت أدعية العلم أولئك حب الظهور الذي أُنْقُل كاَهْل أَحَدِهِمْ حتى جعله يترنح ترنح السكران في مشيتها!

ومنها انتماه ظاهراً لآمة الإسلام في نسبه وعناوينه ومشروعه ولباسه وما يتربّ على ذلك من مواقف إيمانية ثابتة تتعارض تعارضًا تاماً مع ما يملي عليه به أسياده المتشاكسون مذكرين له دائمًا بأن عليه أن يقوم بتسديد فاتورته! وصدق الله - جل وعلا - في سورة الزمر إذ قال: "ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون، ورجلًا سلماً لرجل، هل يستويان مثلاً؟ الحمد لله بل أكثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" الآية: 29.

ووالله لو أن هؤلاء تذوقوا طعم الإسلام يوماً لما رضي أحدهم بأن يكون عبداً منقاداً لغير الله تعالى ويصدق فيه المثل القرآنى: "ورجلًا سلماً لرجل"، ذلك أن الإسلام تفرد فيه العبودية لسيد واحد هو الله عز وجل، فهو الدين الذي يخرج الباري عز وجل به العباد من ذل عبودية العباد إلى عز العبودية بين يدي رب العباد، ومن عبودية البشر إلى عبودية خالق البشر، فيتحررُون بذلك من استرافق ما سوى الله جل جلاله، فيصبحون سادة حقيقين يتقلّبون في فراش الحرية الوثير التي لا يعرفها الضالون المكذبون المتشدقون بالحرية وشعاراتها، لكن بالرغم من ذلك فإن هذا الصنف من الدعاة، المولى للنظام ما زال يلقلق بمعانٍ الإسلام بلسانه دون أن يستشعر بها قلبه، ودون أن يتذوق معانٍ العبودية بين يدي مولاهم الخالق الحكيم ثم يستغرقون في الحديث عن الرفائق من كلام الصالحين!

لقد عانت الأمة من ظاهرة نفاق أدعية الزهد على مر التاريخ والعصور، ولقد فجر ذلك صوراً لتصنيفهم انقدحت في مخيلة العلماء والشعراء الغيورين ومن هؤلاء واحد ذكره لنا في معرض دروسه الصباحية أستاذنا فضيلة الشيخ كريم راجح - حفظه الله، حيث نقل عن ابن همام السلوبي شعره في هجاء هذا الصنف من علماء الدنيا من أدعية الصلاح والزهد:

إذا نصباً للقول قالوا فأحسنوا *** لكن حسن القول خالفة الفعل!

ذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها *** أفاويف حتى ما يدر لها ثعل!

ما أبلغه من وصف عراهم و كشف سترهم! إنهم إذا قدموا للكلام زهودك بالدنيا حتى لكانهم من أزهد الزاهدين بها! أما إذا نزلوا إلى ساحة من ساحات الحياة الدنيا فإنهم لا يكتفون بما يحتاجون منها لكنهم يرضعون حليبها رضاعاً بنهم دون توقف!
انظر إلى الصورة التمثيلية المعبرة لدى الشاعر:

أولاً: ذم للدنيا من قبلهم في الوقت الذي يرضعونها فيه!!!

ثانياً: لا يكتفون بالرضاع في وقت الرضاع المعتاد وإنما يقبلون على هذه العملية قي غير أوقاتها الطبيعية أيضاً!

ذلك أن الفوّاق هو الحلبة بين الحلبتين، وهي لا تكاد تدر حليباً وبالرغم من ذلك فإنهم لا يوفرونها!

إن جشعهم الذي أرداهم في عشق هذه الدنيا الفانية لم يجعلهم يدورون في فلكها فحسب، يحصلون حاجتهم وكفايتهم فقط وإنما أحالهم إلى سكارى يريدون كل شيء فيها لأنفسهم مما أقصاهم عن سنة المصطفى عليه السلام في الإيثار وأقعهم فيما نهى عنه من الأثرة، ومن ثم استدرجوا إلى نزاعات مع المحيط من حولهم طالت الأحقاد فيها كل شيء مما أغرقهم في

بحر متلاطم الأمواج من الغفلة والعصيّان!

إن الهيام الذي حل بهم في قلوبهم جعلهم لا يقفون عند عتبة استحلاب المتع الدنيوية لأنفسهم فحسب، وإنما تجاوزوا ذلك إلى ما لا يدر عادة مندفعين إليه بسائق: (أن لعله يدر)!

وهو ما عبر عنه شاعرنا بالثعل -بضم الثاء وتسكين العين- و هو خلف زائد -بكسر الخاء-. يطلق عليه الناس الحلمة الزائدية التي تنمو قريبا من الحلمة الطبيعية وهي لا تعطي لبنا في العادة، أو أن ما يخرج منها -إن خرج- فإنه لا قيمة له، لكن لما أشبّهت الحقيقة فقد انقضوا عليها كما انقضوا على سابقتها لعل شيئاً ما يخرج منها فيدخل في حيازتهم! إذن لشدة حرصهم على الدنيا لم يكتفوا بالموضع الطبيعي من الارتضاع وإنما انتقلوا إلى الموضع غير الطبيعي منه فهل بعد هذا من إقبال على الدنيا وحرص على ما فيها؟!

وهل بعد هذا التوصيف الموفق من توصيف؟!

ثم بعد ذلك يتحدثون عن الزهد ويزاودون علينا فيه، زاعمين أنهم من أهله! والله ما كانوا من أهله يوما، وإنما هم مشعوذون يوظفون الدين للحصول على ما يستطيعون من ذلك الدنيا بعد أن باعوا دينهم في مزادات المسؤولية العالمية، وتأجروا به وتأمروا على أهله في أروقة الاستخبارات الإرهابية، فعاشوا أذناباً يتقلبون في هوان الذيل وأهله الغارقين في المذلة والتبعة! لهذا كان أستاذنا فضيلة الشيخ كريم راجح شيخ قراء دمشق، وأحد كبار شيوخ الثورة المجاهدين العاملين حفظه الله يكرر علينا مقولته التي ربانا عليها: "يا بني، إن لم تكن رأساً في إياك أن تكون ذنباً"!

أجل إنها تربية السادة الأحرار التي ربى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبته الأبرار الذين قال الله عز وجل فيهم: "محمد رسول الله و الذين معه أشداء على الكفار رحمة بينهم"

ومن هذا المنطلق قال الحسن البصري واعظاً: (يا هذا لا نوم أُنقل من الغفلة، ولا رق أُملك من الشهوة، ولا مصيبة كموت القلب، ولا نذير أبلغ من الشيب)، وإنها لأمارة فارقة بين علماء الرحمن الذين منهم جمّ غير من علماء الشام داخل الحدود وخارجها، وبين علماء الشيطان الذين ينادون النظام الدموي الحاقد الجاسم بقسوة وعناد وإرهاب فوق ربا وذرا الشام! ويا لبؤس هؤلاء يوم جمعوا الشر من أطرافه حين ضرب عليهم رق الأهواء والشهوات، فانزلقوا إلى مرحلة توقف دقات الخشية في سويداء قلوبهم! دون أن ينبههم إلى خطر ما آل أمرهم إليه شيب علا رؤوسهم، فكان أدنى ما سجله الباري عليهم نوم ثقيل شغلوا به عن حمى أمة مستهدفة مضيعة بأمثال هؤلاء الأموات الوعاظين، وحاجتهم للوعظ والتزكية وال التربية والتبنية أولى ثم أولى ثم أولى!!!!!!

أخيراً:

فقد ينقد الإنسان للظلم خشية من سطوة الجلال فيجدو كالبيغاء يردد ما يقوله السلطان حتى وإن خالف كلامه إيمانه وقناعته، وهذا الصنف من الناس أقلهم سوءاً، لكنه في الشكل والمظهر والنتيجة مع قطاع طريق الآخرة سواء بسواء، بيد أنّ أمرهم بين يدي جبار الأرض والسماء ليس واحداً حين يقوم الناس جميعاً ليوم المرجع والمأب، وهي نقطة ستناولها في معرض هذا المبحث بالتفصيل في موضعها إن شاء الله تعالى.

إذن ليس من وقف على منبر في الشام ذاماً علماء ودعاة الإسلام من رجال الثورة والهيئات والروابط الشرعية كان عالماً وليس كل من انتقدتهم كان عالماً صادقاً أو خطيباً مقتنعاً بما يقول، أو حراً فيما يفعل، أو أميناً على دينه، أو غيوراً على أمتة وبلده، لأن الذي انسلاخ من عمره خمسة عقود ثم لم ير حقيقة هذا النظام في فجوره وبغيه وحقده على الإسلام وحربه لأمة الإسلام فهذا مريض مرضًا مزمناً بذهاب عقله، مجنون جنوناً مطبيقاً، مكانه الطبيعي في مستشفى الأمراض العقلية، أو عميل تافه خائن لن يفلت من عقاب العزيز الذي لا يغلب وذلك في الدنيا قبل الآخرة، أو جبانٌ رعديٌ في ظل نظام لا يعرف

الخطوط الحمراء في تعامله، وهذا الأخير مصيره أن يعود إليه تماسته وينطق بكلمة الحق يوما، لكن ليس من هذا الصنف رجل لا يدع فرصة إلا ويدافع فيها عن هذا النظام، لأن درء المفسدة الشخصية قد يكفي فيها موقف واحد يقي سوء غضبة الطغاة، أما التسبيح بحمد النظام وجرائمها بكلة وعشيا فذاك صنيع المنافقين المحترفين الذين هم جزء من طغيان النظام وليسوا جزءا من دعاء و علماء الإسلام، ولن يكونوا. وإلى لقاء قادم بإذن الله تعالى في الجزء الخامس من هذا الموضوع.

كتبه خادم العلم الشريف ، و نزيل المدينة المنورة

المصادر: